مقدمة الترجمة

(١)

تتعاظم قيمة هذا المؤلف تعظاما يتجاوز حدوده كمؤلف معاصر تناول قضية من أخطر القضايا وأكثرها أهمية فى وقتنا الراهن ، وهى قضية المثقفين ـ كفئة لها أبعادها الاجتماعية والطبقية والتاريخية ـ فى علاقتهم بالسياسة • فأهمية هذا المؤلف وخطورته تكمن ـ فى يقينى ـ فيما يثيره من قضايا ، وفيما يطرحه من مسائل قد تفجر فينا ـ نحن المثقفين المصريين * ـ كوامن العجز والاغتراب ، عجزنا عن ادراك أقدارنا ، واغترابنا عن ذواتنا ، ومن ثم اغترابنا عن مجتمعنا الذى فاضى بمشكلاته ، واستغرقته همومه اليومية ، فكاد أن يصبح مجتمعا فاقدا لوعيه ، مغتربا هو نفسة عن ذاته •

غير أن اغتراب المثقف المصرى عن مجتمعه يعد حالة تبدأ من مجرد الاغتراب عن الذات Self-Alienation وتصل ـ ولا تنتهى ـ الى مرحلة الرؤية الضبابية للمجتمع متضمنا قضاياه ومشكلاته • ولا يمكن أن نهون من قدر مسئولية المثقف المصرى عما وصل اليه من ترد وهوان فى الربع الأخير من القرن العشرين ، لاسيما وأن دوره قد تعاظم ـ بصورة لافتة ـ فى نهاية القرن الثامن عشر وغالبية عقود القرن التاسع عشر (١) بل ان

---

* ان استخدامنا لاصطلاح (المثقف) فيه قدر من التجاوز نظرا لما ينطوى عليه هذا الاصطلاح من أبعاد جد متشابكة ، غير أن استخدامنا له هو استخدام افتراضى ـ ينطوى على قدر من التمنى ـ ولعل الاستخدام الانسب هنا هو اصطلاح الصفوة المصرية المتعلمة •

(١) أنظر : لويس عوض ، تاريخ الفكر المصرى الحديث : الفكر السياسى والاجتماعى (الجزء الثانى) ، دار الهلال ، للقاهرة ، ١٩٦٩ •

العشرينيات من القرن الراهن قد شاهدت فى مصر يقظة فكرية وسياسية تحدث فيها ظروف العصر من صلف الحكام وتعنت المستعمر ، وان تأرجحت هذه اليقظة ما بين النزعتين الاصلاحية والثورية ، الا أنها بقيت ـ رغم هذا التأرجح ـ دليلا على وعى المثقف المصرى ، آنذاك ـ بذاته وادراكه لقيمة دوره فى المجتمع .

ومن اللغو أن نكرر ما أتفق بشأنه كوكبة المؤرخين المنصفين ـ غير المتزلفين ـ من أن مناخ الخمسينيات فى مصر والسنوات التى تلتها ، قد أجهض كل فكر حر ، وأصاب خيرة مثقفينا بكف البصر والبصيرة ، فتقوقع بعضهم وآثر السلامة ، أو هادن كثرتهم عن خوف أو استجلابا لمغنم . غير أن هناك آخرين قد عارضوا فى صمت أحيانا وفى صخب أحيانا أخرى ، ومن هؤلاء من التزم بالمعارضة عن (بعد) .

ولكن من المؤكد أن مثقفى مصر فى تلك الآونة (فى بدايات الخمسينيات وما بعدها) باختلاف اتجاهاتهم واستجاباتهم قد جمعهم شعور واحد هو الاحساس بالاضطهاد وبأزمة افتقاد الهوية Identity ، وان كان المثقف المرتزق Freelancer ـ وهو أكثرهم افتقادا لهويته ـ أقل هؤلاء احساسا بفقدان هذه الهوية .

(٣)

وايا كانت حالة مثقفنا المصرى ، فالتشخيص النهائى لها حالة اغتراب Alienation ، اغترابه عن ذاته ، ومن ثم اغترابه عن مجتمعه . ولذا كان آلفن جولدنر Gouldner يرى أنه من بين أسباب اغتراب المثقفين وقوعهم فى دائرة الثقافة الخاصه بالأسلوب النقدى Critical ووقوف بعض العوائق حائلا دون تحقيق فرص أعلى للحراك الاجتماعى لهؤلاء

= كذلك : عزت قرنى ، العدالة والحرية فى فجر النهضة العربية الحديثة سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٣٠ ، الكويت ، يونيو ١٩٨٠

المثقفين (٢) الا اننا مع اقرارنا بهذين العاملين وغيرهما مما ساقة جولدنر Gouldner ، نرى ان اغتراب المثقف المصرى عن ذاته وعن مجتمعه ـ فيما أجزم واقتنع وفيما تؤكده الشواهد التاريخية ـ يرجع الى ما يمكن تسميته **بأزمة المثقف فى علاقته بالسلطة** ٠

وأزمة المثقف المصرى فى علاقته بالسلطة **ذات وجهين : الأول** هو الوجه الايجابى ، حيث تصل علاقة المثقف بالسلطة الى قمة (توترها) ، حيث يتخذ المثقف ـ وهنا أعنى به المثقف الايجابى ذا النزعة الثورية ـ موقفا معارضا من نظام الحكم ، أما الوجه الثانى ـ وهو يمثل أيضا احدى زوايا الأزمة ـ فأعنى به الوجه السلبى ، حيث يصبح فيها المثقف محض تابع للسلطة ، يأتمر بأمرها ، ويوجة فكره ـ ان صح أنه فكر ـ لخدمتها ٠ وهم يمثلون ظاهرة المثقفين المرتزقة التى يندر أن يخلو منها مجتمع من المجتمعات ، وان كان نصيب مجتمعنا منها ـ ويالأسف ـ قد تجاوز نصيب أى مجتمع آخر ٠

(٣)

ولعل الوجه السلبى لأزمة المثقف فى علاقته بالسلطة يؤدى الى ظهور شكل آخر من أشكال الأغتراب ، والذى يتجسد فيما يسميه ـ العروى ـ بالخبرات الضئيلة بالحياة العامه (٣) وهى ظاهرة تعكس الموقف الاغترابى لبعض مثقفنا من قضايا مجتمعهم ، وهو موقف يتخذه عادة مثقفونا المرتزقة Freelancers ، من قضايا رجل الشارع ، حيث الموقف الاستعلائى من قبل المثقف ، والموقف الاستنكارى من قبل رجل الشارع ٠

---

(٢) Gouldner, Alvin, W., The Future of Intellectual and The Rise of the Newclass, The Macmillan Press, London, 1979, p. 59.

Laroui, Abdallah, The Crisis of the Arab Intellectual : Traditionalism or Historicism ? (translated from French by Diarmid Cammell) University of California Press, Berkeley, 1976, p. 159.

ولنسقط من حسابنا هذا المثقف الامعة Yesmanintellectual ، وليكن حديثنا عن المثقف الثورى الايجابى ، أو عن ذلك المثقف ذى القابلية لأن يكون مثقفا ثوريا ايجابيا • ومثقفنا هذا أو ذاك وان تحقق لكل منهما قدر من الحراك الاجتماعى Social mobility الا أن الانتماء الطبقى الأصيل لأى من هذين المثقفين لايمكن أن يتجرد من تلك الصلة الوثيقة بطبقتى العمال والفلاحين •

ولعل هذا يؤكد أن المثقف بوجه عام لم يكن محض افراز شيطانى بلا جذور rootless أو انتماء طبقى على نحو ما تقول البعض على كارل ما نهيم Mannheim بالصورة التى أشار اليها مؤلف هذا الكتاب • ولكن يبدو أن المشكلة لاتكمن فى مجرد التنكر للأصل الطبقى بقدر ما تكمن فى طبيعة الوضعية الخاصة بهذا المثقف فى منظومة البناء الاجتماعى ، وهى الوضعية التى تحددها الى حد كبير طبيعة علاقتة بالأنظمة الحاكمة ، وتصور هذه الأنظمة للدور الذى يجب أن يلعبه المثقف فى المجتمع ، لا كما ينبغى أن يكون عليه هذا الدور •

(٤)

وقد لا أتجاوز الحقيقة ان أكدت ان المثقف المصرى مازال فى مرحلة الحث عن الهوية identity ، ولعل هذا يعد انعكاسا طبيعيا لتلك الانظمة السياسية التى عاصرها ، والتى فرضت عليه مقولات أشبه ما تكون بقيود قد كبلت عقله ، واجهضت أى محاولة للخلق أو أى بارقة للابداع •

ولكن قد يتساءل البعض : ألم يحن الوقت بعد كى يتجاوز المثقف المصرى ذاته ، وأن يتخطى كل مشاعر الحسرة والمرارة ، وأن يحول شعوره بالاضطهاد الى عمل ايجابى ؟ ثم اذا كان هناك عمل ينبغى أن يقوم به هذا المثقف ...فما هو ؟

ولكن ينبغى قبل أن نطرح تصورنا عن الدور – أو مجموعة الأدوار –

التى تتوقع ان ينهض بها مثقفونا ، ان نشير الى ان تصورنا المقترح أو تصور غيرنا من البـاحثين من العسـير أن يتحقق أى منهم دون ان يتجاوز الصفوة المثقفة مصالحها ، ومصالح الصفوة الحاكمة ، وان تعمل على الاقتران برغبات المجتمع تحقيقا للتقدم تضطلع به الصفوة المثقفة (٤) فاذا ما قدر لهذه الصفوه أن تعى هذا ، فعلينا أن نقترح ما يشاء لنا من الافتراضات ، ونتصور ما يعن لنا من التصورات ٠

(٥)

ولست بظان أن (الحرية) كمبدأ ، والدعوة لها كهدف ، يمكن أن ينعاظم أمامها مبدأ ، أو يقوى على منافستها هدف ، ولست بظان أيضا أن هناك من هو أقدر ٠٠ بل من هو أجدر على تحمل مسئولية دعوى الحرية والدفاع عنها والترويج الناضج لها من المثقفين وقد يرى البعض أن المعارضة السـياسية Political Dissent المحدودة التى يضطلع بها بعض مثقفينا، دليل على تبنى هؤلاء المثقفين لقضية الحرية ، ونحن وان كنا لا نستطيع أن ننكر هذا ، الا أننا نرى أن المعارضة السياسية هى حقيقة تعبير عـن الحرية ، بل هى شكل من أشكالها ولكن هذه الظاهرة – رغم أهميتها بـل وخطورتها – ماتزال مقصورة على فئة بعينها محدودة بنطاقها ، موجهـة بايديولوجيتها ، وهو أمر يتنافى مع مشاعية الدعوة الى الحرية كحق ومبدأ ينهل منه وبمارسة كل فرد دون تفرقة أو تمييز ، ولكن يبقى مع ذلك المثقفون أقدر صفوات المجتمع وأجدرها على تبنى الحرية كفكرة وحق ومبدأ ٠

اذن الحرية هى القضية المحورية ٠٠٠ المصيرية ، بل هى المسئولية التاريخية التى قدر للمثقفين أن يتحملوها * ، ولكن الأمر عندى يستوجب

---

(٤) Laroui, Ibid, p. 167.

* لا شك أن المثقف لن تتاح له فرصة تحقيق ذلك – فكرا وسلوكا – ان لم يكن المجتمع – ونظامه السياسى – لديه الحد الأدنى من الاسـتعداد لقبول هذا الفكر وذلك السلوك ٠ ولعل هذا يعتمد الى حد كبير على طبيعة

الدعوة الى أمرين لاتستقيم الحرية دونهما ، بل ان دعوى الحرية لن يكون لها وجود دون وجودهما ، وأعنى بهذين الأمرين : العقلانية Rationality كاتجاه وسلوك فى الحياة ، والثورية فكرا وفعلا فى الحياة Revolutionarism ايضا بتباين أبعادها ، واختلاف مظاهرها • ومن المؤكد أن هذين الأمرين من العسير أن يعمل أحدهما بمعزل عن الآخر ، فلا امكانية لتخلق العقلانية فى غيبة نزعة فكرية وسلوكية ثورية تدعمها ، ولا امكانية أيضا لتصور لاحتمالية تشييد بناء فكرى وسلوكى ثورى دون وعاء عقلانى تنمو بين جدرانه الثورية ، وتستمد منه مقومات بقائها • *

(٦)

اذن هناك ركيزتان لا تتحقق الحرية دون الاعتماد عليهما ، وهما العقلانية والثورية ، والدعوة اليهما تتطلبان نوعية متميزة من الصفوة المثقفة ولعل المثقف الثورى Revolutionary Intellectual ذا ، التوجية العقلى التاريخى ، الذى يعمل على استيعاب الماضى ، ولا يرى ضرورة للتمسك به ، بلا يرى حتمية للافادة منه ، هو المثقف القادر على الترويج لمثل هذه الدعاوى والدفاع المستنير عنها •

وتأكيدا للاعتمادية المتبادلة بين كل من الحرية والعقلانية والثورية

= ايديولوجية السائدة ، ونوعية النظام السياسى السائد ، وان كانت هذه الايديولوجية وهذا النظام يتوقفان أيضا على مدى الجهد الذى تبذله الصفوه المثقفة ـ كصاحبة مسئوليه تاريخية ـ فى الترويج للحرية فكرا وسلوكا •

* انظر مقالا عن اهمية السلوك العقلانى فى : فؤاد زكريا ، أزمة العقل فى القرن العشرين فى : آراء نقدية فى مشكلات الفكر والثقافة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ص ١١ ـ ٢٥
وانظر كذلك : زكى نجيب محمود ، تجديد العقل العربى •
وكذلك : زكى نجيب محمود ، مجتمع جديد أو الكارثة •

نلاحظ ان العقلانية ـ على سبيل المثال ـ لايمكن أن تتخلق فى ظل مجتمع مجتمع استبدادى ، لأن الاستبداد لا يستمد مقوماته الا فى غياب العقلانية ، ففى ظلها يخبو ، وفى غيابها يتألق ، لأنه ما أسهل أن تقاد الأمم وتساس الشعوب والعقول غائبة أو شبه غائبة ، واللعبة قديما ، لعبها من قبل المستعمر ، وحاكه فيها بل وبرع فى المحاكاة ـ السياسة والحكام ، فتعاملوا مع (عواطف) الشعوب ، واستمالوا (غرائز) الأمم ، فلم يتبلور لتلك الشعوب أو هذه الأمم ـ ومنها المجتمع المصرى ـ وعى متميز ، فكان على المثقف المصرى دورا آخر هو أن يوقظ هذا (الوعى) من مرقده ، ذلك الوعى الغائب والذى طال غيابه ، فكأن الدعوى الى العقلانية ـ وايضا الثورية ـ هى دعوة لاحياء وعى الانسان المصرى ، ولايمكن ـ كما ينبئنا التاريخ ـ أن يتعايش أبدا استبداد مع وعى متكامل يقظ ·

(٧)

وقد لا أكون مغاليا أن أكدت مرة أخرى قدرة الصفوة المثقفة المستنيرة على نشر مثل تلك الدعاوى ، لعجز الصفوات الاخرى ـ ان صح أنها صفوات ـ عن تحقيق ذلك ، وهو عجز ارادى ولا ارادى فى آن واحد ، ويتكشف الأول فى (تعمد) هذه الصفوات كبت أى محاولة لتحرير عقل الانسان المصرى من أصفاده ، او اطلاق العقلية المصرية من عقالها ، لأن فى هذا التحرير وذلك الاطلاق تهديدا لأوضاع اجتماعية وسياسية يحرص البعض على دوام استمرارها · أما العجز الآخر ، وهو العجز اللا ارادى ، وهو أمر يتعلق بطبيعة التكوين الفكرى والايديولوجى ولامكانات الذاتية الحيقية لهذه الصفوات ، فهى اذن صفوات عاجزة بحكم تكوينها الفكرى ، ان كان لها فى الأصل تكوين · ومن هنا يبدو المثقف الثورى المستنير عاقا متمردا (٥) فيما ترى الصفوات الأخرى ·

---

* انظر فى قضية التمرد : ادوارد باتالوف ، فلسفة التمرد · نقد الأيديولوجية اليسارية الراديكالية ، ترجمة سامى الرزاز ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٨١ ·

والثورية أو التثوير صنو العقلانية ، وهو يعنى فى أحد مظاهره الاسراع بايقاع التغير ، ولكن التنوير فى أرقى معانيه يتجاوز هذا المظهر الشكلى ـ رغم أهميته ـ الى المضمون حيث الفكر مجسدا فى السلوك • ولعل التثوير السياسى يعد أرقى مظهر من مظاهر التنوير بوجه عام ، وان كان التنوير الاجتماعى ـ فيما يرى البعض ـ يجب ماعداه من مظاهر أخرى للتنوير ومنها التثوير السياسى •

ولكن أيا كان الأمر فمسئولية العقلانية والتثوير تحقيقا للهدف الأكبر وهو نشر دعوى **الحرية** ، لايمكن الا أن تكون مسئولية المثقف الثـــورى المستنير ، ولكن السؤال هنا : كيف يمكن لهذا المثقف ان يدعو الى **العقلانية** وكيف يمكن أن يحقق **التثوير** تدعيما للدعوى الكبرى ، دعـــوى **الحرية** ؟

(٨)

من الحرى أن نسلم بأن محاولات تحقيق كل من العقلانية والتثوير تدعيما للحرية مبدأ وعقيدة وسلوكا تدخـل فى نطـاق عمليات التحديث الاجتماعى والسياسى Social-political modernization ، وهنا نقترب ـ نقدر ـ من المثقف الثورى الايجابى حيث علاقته الجدلية التفاعلية بالسياسة • والسياسة كما نفهمها هنا تتجاوز ذلك المعنى الضـيق حيث قضيتى السلطة والحكم وما يتبعهما من قضايا فرعية أخرى ، بيد أن ما نعنيه بالسياسة فيشمل **حركة المجتمع** بمظاهرها ، وظواهرها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وهو المعنى الذى ينبغى ـ فيما أتصور ـ أن يتبناه المثقف الثورى الايجابى تحقيقا لمعنى التحديث modernization بصورته الشمولية شريطة أن يدور هذا المعنى فى فلك الحرية ، لأنه كثيرا ما تضل حركة المجتمع وتنحرف عن مسارها بسبب غياب هذا المتغير الانســـانى متغير الحرية •

وحركة المجتمع التى تتضمن المعنى الشمولى لمفهوم السياسة * التى تدور فى فلك الحرية ، هى حركة تبدأ بالمثقف وتنتهى به . أما كيف تبدأ بالمثقف ، فذلك أن الحرية ـ تأكيدا لمقولتى العقلانية والتنوير ـ لايمكن أن يتبناها الا مفكر حر ، بمعنى ذلك المفكر الذى يؤمن أولا بالحرية كحق ، وأن يتجاوز عن كل محاولات (القهر الايديولوجى) Ideological Coercion التى يمارسها بعض ذوى النفوذ عليه ، والا يكون مجرد (امعة) لـذوى السلطة والسلطان ، **وعلينا بعد هذا ألا نفرق بين مثقف وآخر من حيث الانتماء الى اليمين او اليسار** ، لأن التمييز ـ ان حدث يتعارض مع أبسط مبادىء الحرية ، وهى حرية الانتماء الفكرى والأيديولوجى .

(٩)

أما كيف يترجم المثقف الايجابى ـ أو الثورى ـ ايمانه الفكرى بالحرية ـ تحقيقا للعقلانية والتنوير ـ الى سلوك واقعى فيبدأ ـ فيما أتصور ـ بما يمكن أن نسميه بعملية **توحد** المثقفين بعضهم مع البعض الآخر ، **وتنظيم جهودهم** ، وتكثيف أنشطتهم فى تنظيم أو **اتحاد** ، وهو ما يمكن أن **يجسد** قوتهم . ثم يلى ذلك ـ وهى خطوة لها أهميتها ـ عملية توحد أخرى مع أكبر جماعتين من حيث الحجم ـ وأقل جماعات المجتمع تنظيما ـ وأعنى بهما جماعتى **العمال والفلاحين** ، ولعل هذا **التوحد** ـ أى توحد المثقفين مع العمال والفلاحين ـ **يحقق هدفين : الأول** : كسر حدة العزلة التى يحياها المثقف المصرى واحساسه بالاغتراب عن الجماعات الأخرى (لاسيما جماعتى

---

* يختلف هذا المعنى الشمولى لمفهوم السياسة عن المعنى الذى تبناه مؤلف هذا الكتاب ، وهو المعنى الضيق المتخصص للسياسة ، والذى لا ننكره ـ بل نؤمن به ـ ولكننا نرى ان المجتمع المصرى فى الآونة الراهنه يستوجب هذا التبنى الشامل لمفهوم السياسة .

obeikandl.com

الفلاحين والعمال) أو احساس تلك الجماعات بالاغتراب عن ذلك المثقف ، وهى حالة كانت ـ وعتقد أنها مازالت ـ تولد شعورا بالتفوق Superiority لدى جماعة المثقفين ، وتخلق احساسا بالدونية inferiority لـــدى جماعتى الفلاحين والعمال • أما الهدف الثانى لتوحد المثقفين مع كل من الفلاحين والعمال فيتعلق بعملية خلق الوعى Consciousness الخـاص بهاتين الجماعتين ، لأن غياب وعيهما كثيرا ما كان يستغل تدعيما لأوضاع اجتماعية وسياسية واقتصادية لفئات بعينها ، ولا شك أن خلق هـــذا الوعى وبلورته من العســير أن يتحقق بمعزل عن اســهام المثقفين ، لذلك فنحن نؤكد مع آلفن جولدنر Gouldner أن العناصر الراديكالية للطبقة الجديدة ـ والتى يشكل المثقفون أحد جناحيها ـ هى العناصر القادرة على أن تلعب الدور القيـــادى ، بل يعدون أيضـــا مدخـل الثورات ومفتاحها فى عصرنا الراهن ، ويؤكد جولدنر Gouldner أن من ينكر ذلك فكأنما يتجاهل التاريخ الثورى للقـرن العشـرين والدور الذى تلعبـه العناصـر الراديكالية فيه • (٦)

ولذلك فنحن مع آلفن جولدنر Gouldner فى استهجاته لتلك الرؤية التى تذهب الى أن المثقفين ـ وهم أحد عنصرى الطبقة الجديدة ـ يستخدون (العـلم) كصـيغة يمكن من خلالهـــا اســتغلال بقيـة أفـراد المجتمع ، مثلما كانت الطبقة القديمه (يعنى بها رجال الأعمال والقيادات الاقتصادية أو القيادات الحزبية القديمة) تستخدم المال لاستغلال الآخرين • واستهجان جولدنر Gouldner لهذه الرؤية ينهض على أساس أن الطبقة الجديدة ـ حيث يمثـل المثقفو أحـــد جناحيهـــا ـ تعد طبقة (فريدة) من الزاوية التاريخية historically Unique، وهى وان كانت تعمل على حماية مصالحها الخاصة الا أن ذلك لايرتبط بنفس الحدود الخاصة بالطبقة القديمه حيث أن

Gouldner, Alvin, W., The Future of Intellectual and the Rise of New Class, p. 7.

الطبقة الجديدة تشارك على الأقل فيما يسمى بالاحتياجات الجمعية Collective needs

(١٠)

وفكرة المصلحة الخاصة بالمثقفين والتى أشار اليها جولدنر Gouldner ان كانت تصدق على بعض المثقفين الا أنها لا تنسحب بصورة كاملة على كل أفراد الصفوة المثقفة Intellectual Elite ، بل يمكن أن تنطبق بصورة دقيقة على من أسميناهم من قبل بالمثقفين المرتزقة Freelance intellectuals.

لذلك فان علاقة المثقفين بمختلف فئات المجتمع ـ ومنهما العمال والفلاحون ـ فهى ـ كما أشرنا ـ خطوة هامة نحو بلورة وعى هاتين الفئتين ، ومسئولية أهم ، تلقى على عاتق المثقفين المصريين فى سعيهم نحو ترجمة **الفكر** ـ الذى يتسم فى أساسة بتبنى الحرية ـ الى **سلوك** واقعى ، وهو ما أكده جولدنر Gouldner فى دعوته التى أشار بها الى أن علاقة المثقفين بالفلاحين والجماهير الأخرى يحددها نمط جديد من التنظيم ، الذى يمكن أن ننظر اليه باعتباره حزبا طليعيا Vanguard Party (٧)

بيد أننا نرى أن فكرة « الحزب الطليعى » وهو ما أشار اليه جولدنر Gouldner وان تأخر بزوغها بالنسبة لمجتمع المصرى ، الا أن ذلك لا ينبغى أن يحول دون توحد المثقفين ، سعيا وراء نشر العقلانية واتساع نطاق التنوير تدعيما لهدف أكبر وهو الحرية .

لذلك فنحن نرى أن سعى المثقفين نحو تحقيق الحرية ـ التى تعد المحور الاساسى للبناء الديمقراطى ـ لا يستقيم مع الفكرة التى روج لها

---

(٧) Ibid, p. 6.

(٨) Ibid, p. 10.

البعض ـ والتى أشار اليها مؤلف هذا الكتـــاب ـ من أن مثقفى الدول النامية عـــادة ما يقـــودون حركـــات غير ديمقراطيـــة Anti-democratic movements ولكن هذه المقولة ان صدقت على بعض غـــلاة اليســـاريين المتطرفين ، الا أنها لاتصدق على معتدلى الاتجاه من اليساريين ، أو ممن ينتمون الى النزعة الليبرالية من أفراد الصفوة المثقفة ٠

(١١)

والعملية السياسية من العسير أن تكتمل دائرتها دون مشـــاركة فعالة ناضجة وواعية من قبل العمال والفلاحين ، وكيف يمكن أن يتحقق ذلك دون وعى مكتمل ؟ ثم كيف يمكن لهذا الوعى أن يتبلور ثم يكتمـــل دون اسهام حقيقى من الصفوة المثقفة ؟

ولا شك أنه فى الوقت الذين يشارك فيه العمال والفلاحون فى العملية السياسية بقدر من الايمان والوعى والنضج ، تستطيع أن نستنتج أن جهد المثقفين لن يضيع هباءا ، ونستطيع أن نتوقع ايضا أن اقترابنا من المعنى الناضج لمفهوم المعارضة السياسية أصبح وشيكا ٠

وبانبثاق المعارضة الجادة ـ وهنا نفترض قدرا من الرضا والقبـــول من قبل السلطة لهذه المعارضة ـ تأتى الخطوة التالية التى يمكن من خلالها أن تنتظم هذه المعارضة وتستمر ، بل وتستمر قوتها ، واعنى بهذه الخطوة ، انتظام العمال والفلاحين وتكتيل جهودهم خلال تنظيمات أو أحزاب سياسية، وهنا يأتى ـ مرة أخرى ـ دور المثقفين حيث يقدمون يد العون لتأسيس مثل تلك التنظيمات والأحزاب ، بالفكر تارة والخبرة والعلم تارة أخرى ٠

وبتحقيق فكرة التنظيم الحزبى لفئتى العمال والفلاحين ، وبتخـــلق المعارضة الجادة من قبل هاتين الفئتين التى تعد انعكاسا طبيعيا لبـــلورة وعيهما ، نكون قد خطونا خطوة جادة وهامة نحو تثوير الفكر والسلوك ،

وهى خطوة لم تكن لتتحقق لولا ذلك الجهد الذى بذلته ـ بل ومن المحتم عليها أن تبذله ـ الصفوة المثقفة ٠

(١٢)

ويجسد هذا التعـدد فى أدوار المثقفين المصـريين multiple roles احدى **صور التمنى** ، وهى الصورة التى نرغب فى **أن** يكون عليها المثقفون المصريون ، كما أن هذا التعدد المتصور فى أدوار المثقفين قد حقق **هدفين : الأول** : أن يبدأ بالمثقف ؟ أما الهدف **الثانى** لهذا التعدد المتصور فى أدوار المثقفين المصريين هو أنه أستطاع ـ بصورة غير مباشرة ـ أن يمهد للاجابة عن التساؤل الثانى ، وهو التساؤل الذى أنبثق عن تأكيدنا على أنه كما يبدأ التنوير والعقلانية ـ تدعيما للحرية ـ بالمثقف فانه ينتهى به أيضا ، فكان التساؤل هو كيف ينتهى به ؟

والانتهاء هنا لايعنى العدم ، بل على العكس من ذلك ، فانهـــا تعنى **الموقف الدينامى** للمثقف المصرى الذى ينبغى ـ فيما أتصور ـ أن يلعبه هذا المثقف **فيما بعد مرحلة تكوين وعى الفلاحين والعمال** اسـتنادا الى العقلانية والتنوير تأكيدا لقضية الحرية ٠ والواقع أن هـذه المرحلة البعدية قد تثير خلافا حتى بين المثقفين انفسهم ٠

قد يرى البعض انه على لمثقفين **أن** يتوجوا جهودهم **بأن** يتولوا **(حكم)**بلادهم لأنه ليس هناك **أكمل** من حكم المثقفين ، بينما يرى البعض الآخر أنه لامانع من أن يشارك المثقفون فى الحكم ، والمشاركة هنا لا تعنى **التولى المطـــاق** للحكـم ، بل تعنى أن يكون الاســـهام **(جزئيـا) وأن يكون للمحترفين السياسيين** ـ من غير الصفوة المثقفة ـ الدور الأكبر فى عمليتى الحكـــم والسياسة تحت رعاية المثقفين ورقابتهم ٠ فى حين **يرفض** آخرون مجرد فكـــرة اشـراك المثقفين فى الحكم ، بـــل يـــرون أن المثقفين من الممكن السياسة**و** أن يكـون لهـم دور فى العملية الســـياسية ، بـل ينبغى أن يكون لهم هذا الدور ـ ، ولكن **ليس من الحتمى** أن يكون لهم **دور سياسى** تنفيذى ٠

ولكن البعض قد يغالى ويرتد بالمثقفين الى حالة الاغتراب والعزلة ويرى انه يكفى المثقفين قيامهم بالدور الكبير فى الترويج للحرية ومحاولاتهم لبلورة وعى العمال والفلاحين ، وعليهم بعد ذلك ان يتركوا امور السياسة وللحكم ، وان يكونوا مجرد **(شهود على عصرهم) ورقباء على مجتمعهم** ٠

(١٣)

ولكن كيف نتصور نحن وضعية المثقف المصرى فيما بعد مرحلة بلورة وعى الفلاحين والعمال ، وهى المرحلة التى لا اعتقد انها ستتحقق فى يسر وسهوله ؟

والرأى عندى انه لا معنى على الاطلاق ان يكون المثقفون ـ وهنا لن يكونوا مجرد صفوة مثقفة ـ على هذه الدرجة من التوحد مع العمال والفلاحين ، ولا معنى ابدا أن يكون المثقفون ذوى خبرة سياسية واعضاء مبرزين فى التنظيمات والاحزاب السياسية المختلفة ، وعلى هذه القدرة او الكفاءة السياسية العالية ٠٠٠ لا معنى لهذا كله دون ان يكون لهم دروسياسى تنفيذى او قيادى ٠ ولكن ينبغى أن نشير الى اننا لا ننادى بأن يتولى المثقفون حكم بلادهم ، بينما يظل الآخرون محض متفرجين او مجرد مشاركين سياسيين على المستوى التنظيمى او الحزبى فقط وانما لنا فى هذا تصور نورده فيما يلى :

- ليس كل المثقفين بقادرين على تولى أمور السياسة والحكم سياسيا وتنفيذيا ٠

- يتولى الحكم او يشارك فيه ـ بنسبة عالية ـ شريحة من المثقفين ترى فى نفسها القدره والكفاءة على تولى مثل هذه الأمور ٠

- أن يستفاد ـ بقدر الامكان ـ من اصحاب الخبرات من المحترفين السياسيين بأن يشاركوا فى مسائل السياسة والحكم ، تنفيذيا وقياديا

● معنى ذلك الا يصبح الحكم مقصورا على فئة دون غيرها كى لا يكون حكم (طبقة) أو حكم (صفوة) ٠ (٩)

● ونحن فى هذا نختلف مع من يرون أن المثقفين عندما يتولون المناصب القيادة فى السياسة ، والحكم ينحرفون بهما نحو الأوتوقراطية والشمولية ، وحتى ان صدق ذلك ـ وهو محل شك ـ فان وجود العناصر الأخرى ـ من غير فئة المثقفين ـ فى الحكم يعد ضمانا يحول دون تحول المثقفين الى فئة حاكمة ذات نزعة استبدادية ٠

وأخشى أن يفهم من اشاراتنا هذه أننا ندعو الى حكم (فئة) أو فئات بعينها او (طبقة) او طبقات يمكن تعيينها أو تسميتها ،بل على العكس اننا نستهجن حكم الطبقة او الطبقات لأنه ينطوى على قدر من الأوتوقراطية والتسلط والاحتكار ولأنه يتنافى مع دعوتنا الى **ليبرالية تقدمية اورادیکالية معتدله** وكلتاهما ترفض حكم الطبقة لأنه يتعارض مع مبدأ **تعدد الاحزاب** الذى **نؤمن به كعقيدة** وكمبدأ لا يمكن ان تتحقق الحرية الا من خلاله ٠

وهكذا استطاع هذا المؤلف الذى بين أيدينا أن يثير فينا ـ بتداعى الأفكار وانسيابها ـ هذه الرؤى وتلك النظرات التى ما كانت لولا هذا المؤلف الذى أعده ـ رغم الحداثه الأكاديمية والعمرية لصاحبه ـ أكثر المؤلفات شمولا من حيث التناول المتعدد الاتجاهات ، ومن حيث الوضوح والايديولوجى لكاتبة ٠ ولا شك أن علاقة المثقفين بالسياسة او العلاقة بين الوضع الاجتماعى للمثقف واتجاهاته السياسية ـ وهو جوهر هذا الكتاب تستحق أن يوليها باحثونا فى علم السياسة علم الاجتماع السياسى اهتمامهم الخص ، وخاصة وأ نهناك العديد من القضايا النظرية والتاريخية قد أثيرت

---

(٩) انظر مناقشة عامة لهذا الموضوع فى : بوتومور ، الصفوة والمجتمع : دراسة فى علم الاجتماع السياسى : ترجمة وتقديم محمد الجوهرى وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ٠

فى هذا المؤلف تستوجب الاهتمام والاختبار الميدانى على واقع المجتمع المصرى وغيره من الدول التى تتشابه معه ثقافيا وحضاريا وسياسية ٠

ولا أظن ـ بناء على هذا ـ أن شغفنا هذا المؤلف سوف يقف عند هذا الحد ، خاصة وان ما أثاره من قضايا وطرحه من تساؤلات قد يحفزنا الى التفكير فى اجراء دراسة ميدانية على شريحة من مثقفينا المصريين أو صفوتنا المتعلمه نستطلع فيها (ببعض) ما أثير فى هذا الكتاب ، وببعض ما نراه صالحا للاختبار الميدانى مما طرحه التراث النظرى فى علمى السياسة والاجتماع السياسى ، فضلا عما ينطق به تاريخنا المصرى سياسيا واجتماعيا ، وما ينبض به واقعنا الراهن بمعطياته السياسية والاجتماعية والثقافية ٠

ولا شك أن تفكيرنا فى اجراء مثل هذه الدراسة الميدانية سوف يكون تتمة للمؤلف الراهن ، خاصة وان مؤلفه قد دعانا ـ من حيث لايدرى ـ نحن المثقفين العرب الى أن نبحث عن ـ وفى ـ ذواتنا وان نعثر على دور نحن مفتقدوه ٠

والله نسأل التوفيق ؟

عاطف فؤاد

صنعاء فى مايو ١٩٨٣

تمهيد

يستهدف هذا المؤلف تحليل العلاقة القائمة بين كل من الأوضاع الاجتماعية للمثقفين واتجاهاتهم السياسية • ولسوف أحاول ان أحدد – بصورة أولية – من الناحية النظرية ، الرؤى السسيولوجية التى اهتمت بتلك القضية وذلك انطلاقا من المناقشة النقدية لتلك الرؤى ، **تحديدا للظروف الاجتماعية التى تسهم فى صياغة الاتجاهات المختلفة لجماعة المثقفين ازاء الحياة السياسية** ، ومن هذه الاتجاهات :

النزعة الاعتدالية فى مقابل الاتجاه الراديكالى ، ثم النزعة الديمقراطية فى مقابل **اتجاه الصفوة** ، ثم أخيرا **النزعة اليسارية** فى مواجهة **الاتجاه اليمينى** •

ولقد اقترح على الأستاذ بوتومور Bottomore أن اسهم بمؤلف عن قضية **المثقفين والسياسة** • ولا يمكننى أن أنسى – خلال ست عشرة شهرا – وهى الفترة التى استغرقها العمل فى هذا الكتاب تلك المساعدة التى قدمها لى الأستاذ بوتومور Bottomore فى صورة اقتراحات ، فله امتنانى وشكرى العميقين •

وجدير بالاشارة أن تأليفى لهذا العمل قد تم أثناء توليتى لمنصبى فى Memorial University of Newfound Land • ولقد كان زميلى بالجامعة فيكتور زازلافسكى Victor Zaslaavsky حريصا على قراءة أصول هذا الكتاب ، فضلا عن تزويده اياى بتعليقاته الثاقبة التى ارشدتنى الى ما يمكن اضافته لتحسين هذه الأصول •

وعلى وجه العموم فإن كثيرا من زملائى وتلاميذى قد أتاحوا لى البيئة المثالية لانجاز هذا العمل السسيولوجى ٠

ثم أن هـــذا المؤلف يدين بالفضـــل للكثيرين من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا بجامعة Memorial ٠ كما أنه يدين أيضا بالفضل والامتنان الى المجلس الكندى Canada Council الذى ساهم فى تمويله والانفاق عليه ٠

ر ٠ ب
تورنتـــو

obeikandl.com

مقـــدمة المؤلف

على الرغم من أن هناك بعض الأفراد قد تخصصوا فى الانتاج الفكرى حتى فى غالبية المجتمعات البدائية ، الا أن المثقفين لجماعة كبيرة ، ومحددة تحديدا دقيقا وذات وعى ذاتى لم تأخذ فى التبلور الا خلال ثـــلاثمائة أو اربعمائة عاما فقط · ومن المؤكد أن هناك ظروفا عديدة قد تضـــافرت لكى تفصل ما بين الجماعات المثقفة وغيرهم من غير المثقفين ·

ولقد نمت خلال ذلك ظاهرة تقسيم العمل التى صـــاحبت انبثاق الرأسمالية ، وأحدثت ذلك التزايد السريع فى تلك الأعداد الكبيرة للأشخاص المتعلمين فى المجتمع ·

واضحى المتخصصون ذوو المستويات العالية من التدريب سمة هامة فى ذلك الخضم الخاص بالعالم الصناعى ، ومن هنا قدم المتعلمون أعمالا وانجازات ثقافية يمكن أن ننظر اليها باعتبارها سوقا للمثقفين ·

وخلال هذا النمو المتزايد للمتخصـــصين المتميزين والقـائمين على الانتاج الثقافى من حيث العدد والأهمية ، نلاحظ أن هناك عملية ثـــانية قد أثارت الوعى الذاتى للمثقفين ، وهذه العملية هى تلك الوضع المتغير للمثقفين فى المجتمع ·

ولعل ذلك السوق الواسع الذى تعرض من خلاله مهارات المثقفين ، قد عمل على تحرير صانعى الأفكار من قيود الوظيفة الكتابية ، فضلا عما قام به ذلك السوق من حث وتشجيع لهؤلاء المثقفين على انجاز أعمالهم ·

ولقد كانت الانتماءات السياسية للمثقفين خلال العصور الوسطى ،

محكومة بصورة او بأخرى بمصالح هؤلاء الاشخاص الذين تولوا تشجيع المثقفين خلال تلك الحقب ٠

وفى الوقت الذى بدأ فيه المثقفون يبيعون مهاراتهم فى معرض السوق المفتوح ، ظهـــر متغيـــر آخـــر لعب دورا واضـــحا فى حياة هـــؤلاء المثقفين ، هذا المتغير يتعلق بحالة الغموض او عدم الوضوح الذى يكتنف جماعة المثقفين ٠

أما فى العصر الحديث ، فلقد بدأ المثقفون يعنون عناية خاصة بتلك المسائل وثيقة الصلة **بالطبقة التى ينتمون اليها** ، وبالتيار السياسى الذين يقومون بتدعيمه ٠

ولقد أضحت ــ فى الوقت الراهن ــ احدى المشكلات والقضايا الاساسية التى عنيت بالاهتمام بها المذاهب السياسية والأحزاب والحركات السياسية المختلفة ، فضلا عن المدارس والجامعات والصحف ، **هى ما الذى يمكن أن يقدمه المثقفون لكل من الطبقة أو الطبقات التى ينتمون اليها فضـــلا عن التيارات السياسية التى يعلنون أنها** ٠ ومن المؤكد أن مثل تلك المشـــكلات أو القضايا قد اثارت الاهتمام لـــدى الجماعات التى اعتادت التردد على النوادى ، أو هـــلاء الذين يـــترون المناقشة بالمقاهى والصالونات ، وحلقات المناقشة ، هذا فضلا عما تثيره تلك المشكلات من اهتمام لدى أعضـــاء الجمعيات المهنية ٠

ولقد كان تطور تلك السياقات التى تعنى باللقاءات والمناقشة (كالاحزاب والمدارس والجامعات والصحف ٠٠٠ الخ) قد تبلورت الشـــرط الاجتماعى الثابت ، وهو الشرط ذو الأهمية فى تعيين هوية الجماعة المثقفة ٠

وهذا المؤلف ، يعنى بدراسة الأبعـــاد الرئيســـية لكل من النظريـــات السياسية والممارسات الخاصة بالمثقفين (كما وضعها بصورة رائعة ادوارد

شيلز Shills ،وذلك منذ أن تحررت قدرتهم على الانتماء من ثلاث قرون مضـــت ٠

ولا ينبغى من الناحية الأكاديمية أن يكون هذا المؤلف **محض تأكيد على الحقيقة التى مفادها أن المثقفين قد لعبوا دورا هاما ـ وفى كثير من الأحوال دورا حاسما ـ فى الحياة السياسية للعالم المعاصر** ٠ بل اكثر من ذلك ، ان هذا المؤلف يرى أن المثقفين ـ كاسم ـ قد انبثق خلال التناقضات التى هزت الأسس السياسية للقرن التاسع عشر فى فرنسا ٠

وهذا الاسم ـ المثقفون ـ قد استخدم بصفة أساسية من خلال هؤلاء الأشخاص الذين كانوا ينادون بالحقوق السياسية ، كما أن هذا الاسم قد تخلق من خلال أدباء فرنسا الذين قادوا تلك الحركة التى استهدفت تحرير الوظائف الأدبية والكتابية ، وهى الحركة التى كانت ترمى أساسا الى الحد من سيادة النزعة العسكرية ولقد وجه ذلك أساسا ضد المحاولة التى قادها دريفيوس Drefus عام ١٨٩٤ ٠

اما **اصطلاح الانتلجنسيا** Intelligentsia **فلقد استخدمه الأوربيون الشرقيون منذ منتصف القرن الماضى** ، **وهو اصطلاح يشير الى هؤلاء المفكرين الذين يعنون أساسا بنقد السلطة القائمة ، ويلعبون أدوارا رئيسية فى الحركات الثورية** ٠

وينبغى أن ننبه الى **انه ليس بالضرورة أن يكون المثقفون راديكاليين ، او يمكن ان يكونوا وحدهم من ذوى الميول اليسارية ٠ ولكن** من المؤكد ان كثيرا من الكتاب **يستخدمون اصطلاحى « المثقفين » Intellectuals ،الانتلجنسيا** Intelligentsia **باعتبارهما يعنيان تلك الفئة من المفكرين ذى النزعة النقدية والتقدميه ، الذين يتخذون موقف الاغتراب والانفصال عن المجتمع** ٠

واذا كان البعض يرى أن المثقفين فئة تقف من المجتمع **موقفا نقديا**

انفصاليا ، الا ان هذه الرؤية تواجه بمشكلة تصورية تتعلق بكيفية تفسير اختلاف الرؤى السياسية للمثقفين ارتباطا بدرجة انتماءاتهم الاجتماعية واتجاه هذه الانتماءات ٠

والقضية السابقة تستوجب تحديدا لمفهوم « **المثقف** » Intellectual حيث يعرفه سيمور مارتن ليبست Lipset (1959, p. 333) قائلا : « اننى سوف أعرف المثقفين بصورة مستقلة عن انتماءاتهم أو ارتباطاتهم الاجتماعية ومنفصلة عن نزعاتهم السياسية ٠ فالمثقفون هم هؤلاء الأشخاص الذين يمكن أن ننظر اليهم ـ مهنيا ـ باعتبارهم تلك الفئة المستغرقة فى انتاج الافكار (كالباحثين ، والفنانين والصحفيين ، والعلماء ٠٠ الخ ، وكما هو الحال ايضا بالنسبة للطلاب الملتحقين بمعاهد ما بعد المرحلة الثانوية ، الذين يعدون نواة لهذه الأدوار المهنية) ٠

ويلاحظ أن هذا التعريف الذى ساقه ليبست Lipset لمفهوم « المثقفين » يكشف لنا عن العديد من القضايا التى تسهم فى صياغة الموضوع الأساسى لفصول هذا الكتاب ٠ ومن أمثلة هذه القضايا وتلك التساؤلات ما يلى :

ما هو بالضبط الموقع الذى يحتله المثقفون فى المجتمع ؟

ثم ما هى العلاقة القائمة بين دوافعهم التى يشغلونها فى المجتمع ورؤاهم الاساسية ؟ وما هى المداخل التاريخية التى قد تكشف عن كثير من هذه القضايا ؟

ولقد اتخذ العلماء الاجتماعيون ازاء القضايا والتساؤلات السابقة أربعة مواقف تشكل أربعة **اتجاهات متمايزة هى :**

(١) هؤلاء العلماء الذين تأثروا ـ بدرجات متفاوته ـ بالاتجاه الوظيفى Functional approach والذين توصلوا ـ تاريخيا ـ الى أن المثقفين المستقلين لديهم القدرة على أن يكونوا أكثر تآلفا مع البناء الفوقى Super Structure ، وهو ذلك البناء الذى يتميز بالانتشار والاتساع ، فضلا عن كونه بناءا منظما موجها ٠

ووفقا للاصطلاحات الطبقية ، فان هـــذه الطائفة من العلماء ترى أن المثقفين قد تكاملوا مع الطبقة الوسطى الجديدة Newmiddle Class ، وأن نتيجة ذلك ــ سياسيا ــ يتحدد فى نمو الطبقة المثقفة المعتدلة وانسحاب الطبقة ذات النزعات الراديكالية ٠

(٢) أما الفئة الثانية من العلمـاء الاجتماعيين فهى تلك الفئة التى يطلق عليها اسم الماركسيين المحدثين Neo-Marxists ، وهى الفئة التى تقف موقف المعارضة من الفئة السابقة او الاتجاه السابق ، وذلك انطلاقا من تصـورهم الذى مفاده أن انغماس المثقف فى البناء العلوى المنظـــم (يقصد من قبل الدولة ــ المترجم) يفقد هذا المثقف استقلاله ٠

والمثقف ــ فيما يرى أصحاب تلك الفئة ــ بذلك الانغماس **لا يعـــد عضوا بالطبقة الوسطى الجديدة** ، وانما يتحول الى **مجرد عامل اجير** ٠ ولا شك أن تحول فئة المثقفين الى هذا الطابع البروليتارى يعد عاملا مؤثرا بالنسبة لهذه الفئة ، بصورة أكثر فاعلية من تلك العوامل الجانبية الخاصة بالايديولوجيات الراديكالية المنتمية الى الجناح اليسارى ٠

(٣) وينطلق من خلال هذين الاتجاهين المتناقضين **اتجاه ثالث يتزعمه** كارل ما نهيم Mannheim الذى يرى أن المثقفين فى العالم المعاصر يمكن أن ننظر اليهم ــ وبصـرة نسـبية ــ باعتبـارهم **فئة بـلا انتمـاء طبقى** محدد ٠ ويبرر ما نهيم Mannheim تصوره هذا على اساس **ان المثقفين قد تشكلوا من مختلف الطبقات الاجتماعية** ، وان العملية التعليمية الخاصة بهم قد تمت فى محيط كان يحثهم على النظر الى المشـــكلات الاجتماعية والسياسية من مختلف الداخل ، وليس من خلال مدخل أو منظور واحد ٠ فأفكارهم ــ كما يذهب ما نهيمن ــ ليست محددة تحديدا طبقيا كما هو الحال بالنسبة للعمال او أصحاب المشروعات ٠

ويرى ما نهيم Mannheim ان اللاطبقية النسبية relative classlessness كسمة تميز المثقفين يمكن أن تكون عونا لهم على التوصل

بصورة عملية – الى طاقم من الحلول الصحيحة لمختلف القضايا الاجتماعية . وهى حلول لاتعبر – حينئذ – عن رؤية طبقية خاصة ·

(٤) ولقد قام نفر غير قليل من العلماء الاجتماعيين بتطوير الاتجاهات الفكرية الثلاثة ، هم هؤلاء العلماء الذين اتخذوا من المجتمعات التى اصابت قدرا ملحوظا من التقدم الاقتصادى بؤرة لاهتمامهم ·

اما الطائفة الرابعة من العلماء الذين اهتموا بقضية المثقفين فهى تلك الطائفة التى تأثرت بالمنظرين الكلاسيكيين لنظرية الصفوة Classical elite theorists من امثال فليفريد وباريتو Pareto ، وجيتانوموسكا Mosca ، وروبرت ميتشلز Michels ، وهم المنظرون الذين اهتموا اهتماما اساسيا بالاسلوب الذى يترسمه المثقفون الراديكاليون فى تشكيل الصفوة السياسية او الطبقة الحاكمة للمجتمعات النامية ·

وفى غيبة الصفوات التقدمية الأخرى يبدو المثقفون وكأنهم مسئولون عن احداث التغيرات الثورية ذات الايقاع السريع التى تستهدف تحديث مجتمعاتهم · ولكن عادة ماتكون تكلفة هذا التطور مرتفعة ، خاصة فى ظل تأثير الشيوعية الروسية ، حيث يبدو المثقفون وكأنهم ذوو نزعات تسلطيه واتجاهات غير ديمقراطية ·

هذه اذن هى الاتجاهات الأربعة الرئيسية التى عنيت بوضعية المثقفين فى المجتمعات المعاصرة ، وما افرزته هذه الوضعية من وجهات نظر سياسية تتعلق بهؤلاء المثقفين ·

ولعل فصول هذا الكتاب محاولة لتقديم رؤية تقويمية نقدية لكل اتجاه على حده ، **وبصفة اساسية :**

(١) بالنسبة لأصحاب الرؤية الوظيفية ·

(٢) بالنسبة لهؤلاء الذين ينظرون الى المثقفين باعتبارهم مجرد متحدثين رسميين ومعبرين عن المصالح الأساسية للطبقة التى ينتمون اليها ·

(٣) ثم بالنسبة لهؤلاء الذين يرون أن الرؤى الخاصة بالمثقفين منفصلة تماما عن البناء الطبقى ٠

(٤) وأخيرا سوف نعرض بالتقويم والنقد لتلك الفئة من العلماء الذين ينظرون الى **المثقفين** على أساس انهم فئة تعمل على تأسيس طبقات متميزة لهم بصرف النظر عن انتماءاتهم الطبقية الأصلية ، أى انهم يؤسسون **طبقات لحسابهم الخاص** ان صح هذا التعبير ٠

وانطلاقا من ذلك الاسهام الذى قدمه أنطونيو جرامشى **Gramsci** سوف نحاول تطوير بعض الأفكار السابقة التى اعتمدت على أفكار جرامشى وذلك بالبحث عما يؤكد انه من خلال تحليلنا لكيفية تحول العلاقات الاجتماعية للمثقفين الى طبقات هذا التحليل – الى فهم أكثر ملاءمة للرؤى السياسية للمثقفين ٠

ومن المؤكد أن محاولتنا الراهنة سوف تكشف عن عدم اتفاقنا الكامل مع **الرؤيتين الثالثة والرابعة** ، ولكنها – أى هذه المحاولة – سوف تعيننا على تقديم **تفسير أكثر ديناميكية** للآراء الوارده **بالرؤيتين الأولى والثانية** ، حيث تؤكد بعض الأفكار على الأسلوب الذى تصبح من خلاله ايديولوجيات الجماعات المثقفة نتاجا لأنماط الحراك الاجتماعى Social mobility وهو الظاهرة التى تحدث فى البناءات الاجتماعية المتغيرة ، كما أن بعض الأفكار الأخرى سوف تتيح لى الفرصة لكى أحدد – بصورة أولية – بعض **الظروف الاجتماعية** التى تدفع المثقفين الى احتلال أوضاع مختلفة فى الحياة السياسية ٠